3– التكذيب وقابلية التكذيب :

يميّز " بوبر " بين " قابلية التكذيب Falsifiability " وَ " التكذيب Falsification " ؛ حيث إنّ إخضاع القضية أو فروضها لمعيار قابلية التكذيب ؛ لا يعني تكذيبنا لها بقدر ما يعني تسليمنا بأنّ هذه القضية ليست بنهائية ، وإنّما يمكن تجاوزها نحو قضايا أخرى : " إنّنا نقول أنّ النظرية تكون مكذّبة فقط إذا كنّا قد قبلنا قضايا أساسية تناقضها " [i] ، وقبول هذه القضايا الأساسية التي تناقض النظرية لا يعتبر شرطا كافيا لتكذيب النظرية بالرغم من ضرورته حسب قول " بوبر " وإنّما "سوف نعتبر النظرية مكذّبة فحسب إذا اكتشفنا أثرا برفض النظرية ... فنحن نقبل التكذيب فحسب إذا اقترح فرضٌ إمبريقي يضيف هذا الأثر وقد تم تعزيزه " [ii] . فالتكذيب يتعلّق بالكشف الإمبريقي لكذب النظرية ، ويختلف عن قابلية التكذيب Falsifiability باعتباره مفهوما " منطقيا/ تقنيا " ؛ يحيل إلى الإمكانية المنطقية للتكذيب من حيث المبدأ ، لذا فإنّ التكذيب Falsification يحيل إلى الدليلي التجريبي العملي الحاسم للتكذيب [iii] .

4 – فلسفة " بوبر " بين التراكمية والثورية :

قد يتصوّر القارئ لبوبر ومعياره " قابلية التكذيب " بأنّ هذا المبدأ يعبّر عن عملية تراكمية – محضة– في العلم ؛ من خلال : " تراكمية هذه النظريات والنماذج البحثية التي تنشأ عبر تفنيدنا للنظرية الآنية وسعينا نحو ايجاد بديل أكثر دقة وموضوعية من الذي سبقه في تفسير الظواهر " [iv] ، حيث يكون هذا البديل مكملا ومنطلقا من آخر نقطة توقفت فيها القضية المكذبة ، غير أنّ هذا الطرح يتعلّق بالتكذيب وليس بقابلية التكذيب – وقد رأينا أعلاه الفروقَ الجوهرية بينهما – هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعبّر هذا الطرح عن رؤية تأويلية بسيطة – من منظور واحد– لا تتطابق و القضية المطروحة ، لذلك ارتأينا أن نتناول القضية بمخطّط كلّي محدّد لعناصرها ككل .

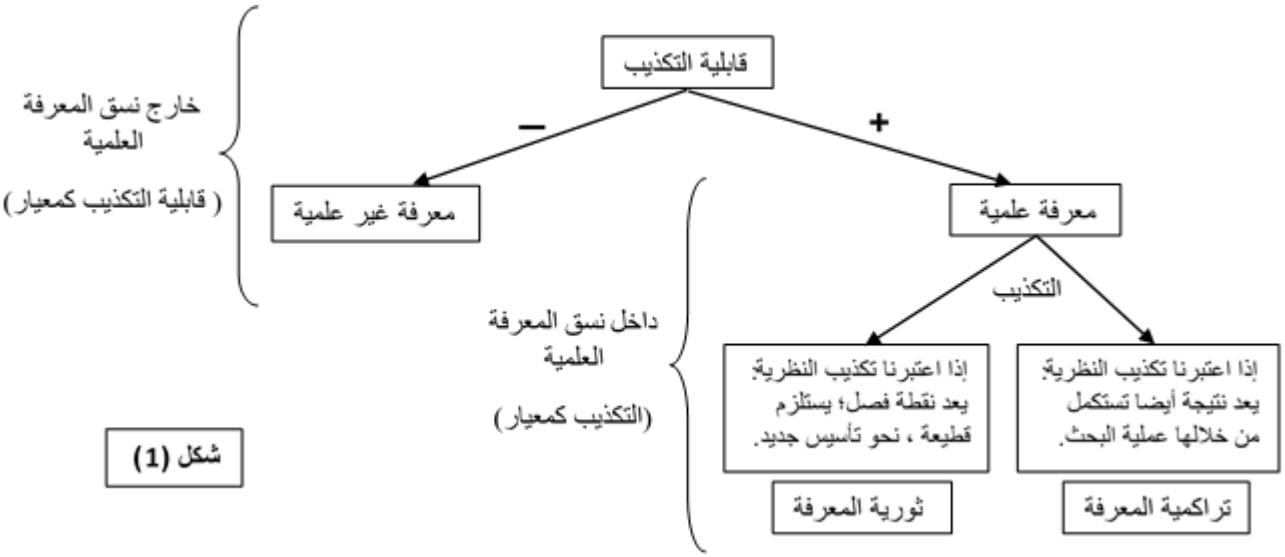

شكل (1)

نستنتج من المخطط مجموعة من المفاهيم ؛ هي :

- يعتبر مبدأ قابلية التكذيب معيارا يحدّد ما إن كانت المعرفة علمية أو غير علمية ، ولا يرتبط ارتباطا مباشرا بما إنْ كانت المعرفة تراكمية أو ثورية .
- يتعلّق مفهوما التراكمية والثورية بالتكذيب أكثر منه بمبدأ " قابلية التكذيب " ؛ فهما مفهومان يرتبطان ارتباطا مباشرا بنتائج الدراسة ؛ بمعنى آخر أنهما يرتبطان بالدليل التجريبي العملي الحاسم ، وليس بالإمكانية المنطقية للتكذيب من حيث المبدأ .

يؤوّل تكذيب النظرية حسبنا إلى تأويلين : الأول إذا ما اعتبرنا تكذيب النظرية يعد نتيجة أيضا ، تستكمل من خلالها عملية البحث بدءا من آخر نقطة وصلت إليها النظرية المكذبة ، وهذا حسبنا يعبر عن تراكمية في المعارف ، أما التأويل الثاني فهو اعتبار تكذيب النظرية ؛ نقطة فصل تستلزم قطيعة ، نحو تأسيس جديد ويدعم هذا النظرية الانفصالية — الثورية – في المعرفة ، والتأويل الثاني هو المرجّح بالنظر إلى فلسفة " بوبر "ككل ، فهو يعلنها صراحة أن فلسفته جاءت لتكون ثورة على المناهج والمعايير الكلاسيكية في العلم (كمعيار التجربة ، الاستقراء..) ، وَ " تكذيب بوبر " أقرب إلى أن يكون ثوريا منه إلى أن يكون تراكميا استنادا إلى وصفه لفلسفته بالثورية ؛ كذلك من خلال إطاحته بمنطق التبرير وإحلال منطق الكشف بديلا له ، غير أن ثورية بوبر تعتبر ثورية بشكل أقلّ مقارنة بثورية " غاستون باشلار " ومفهوم " القطيعة الابستيمولوجية " لديه .

خاتمة :

" ظهر كتاب السيد كارل بوبر في سلسلة فيليب فرانك وموريس شليك ، نتعرف فيه على مواضيع عديدة في فلسفة فيينا ، لكن حجج الكاتب الشخصية عديدة ، وتعطي للكتاب توجها يعد لفلسفة أصيلة "[v] هذا ما قاله " غاستون باشلار " معلقا على كتاب " منطق الكشف العلمي " وهو أوّل كتاب لـ " كارل بوبر " ، فيبدو أنّ " باشلار " أبدى إعجابه العلمي بفكر " بوبر " في بداياته ، وهذا الإعجاب حسبنا لا يؤول إلاّ إلى اشتراك وتطابق فكري نسبي بين المفكرين ، والواقع أنّ المفكّرين يشتركان في العديد من الصفات والأسس الفكرية ؛ أوّلا من خلال اعتبارهما من بين المفكرين الذين ساهموا في اثمار فرع جديد ، نوعا ما ، من فروع الفلسفة ، يسمّى فلسفة العلوم ، بالاشتراك مع " برتراند راسل " وَ " فتجشنتاين " "وتوماس كوهن " وَ " جان بياجي " ..[vi] ، ومن ثمّ اشتراكهما في النظرة التي من خلالها نحقّق تجسيدا لتقدّم علمي ؛ فكلاهما يدعو إلى فكرة التفتّح في العلم ؛ والتي تقوم على

الديالكتيك (الجدل) المتفتّح والتطوّر الفكري القائم هو بدوره على النقد وإعادة النظر في حقائقه ، كذلك جاءت فلسفة " بوبر " لتدعو إلى ثورة على المعايير والمفاهيم الكلاسيكية ، وقبلها دعت فلسفة " باشلار " إلى الثورية على المفاهيم الراسخة ووجوب اللجوء إلى الجدل المفتوح فهو يرى " أنّ المعرفة المتداولة لا تستطيع أن تتطوّر لأنها راسخة في القيم الأولية ، وعندها دائما من الأجوبة أكثر مما عندها من الأسئلة ، بل إن عندها أجوبة عن كل شيء " ، ففي هذه العبارة يتوافق " باشلار " مع بوبر في أنّ المعرفة العلمية يجب أن تكون عبارة عن أسئلة متداولة وعن نسبية قائمة من خلال " قابلية التكذيب " ولا وجود لأجوبة نهائية مطلقة .

يكون تجسيد التقدّم العلمي عند " بوبر " من خلال الثورية على القديم ؛ ولا يكون هذا حسبه إلاّ من خلال " معيار قابلية التكذيب " وتحديدا من خلال " التكذيب " في حدّ ذاته ،كذلك رأى " باشلار " قبله أنّ التقدّم العلمي لا يكون إلاّ من خلال إحداث نقلات نوعية في المعارف عموما ، وفي المعرفة العلمية بحدّ ذاتها خصوصا ؛ وتكون هذه النقلات من خلال ما دعاه بقطيعته الابستيمولوجية : " حيث تناظر هذه القطيعة تكذيب النظرية المقبولة عند بوبر، وتكون من أقوى تجسيدات النظرية الثورية وأعتى رفض للنظرية التراكمية الاتصالية " [vii] ، فكلاهما يعتبر مفكرا ثوريا لا تراكميا خصوصا " باشلار " وَ " بوبر " بشكل أقلّ ، غير أنّ ما وجب الإشارة له هل كل الإثباتات بأنّ العلم لا يكون إلاّ من خلال إحداث تجاوز وقطيعة مع القديم تجعل مفهوم التراكمية في العلم لا أساس له ؟ إنّ إشكالية المعرفة والعلوم ككلّ تكمن في الجسر الإدراكي بين الواقع (الملاحظ) والمدرك وإنّ إحداث تطابق مطلق بين الواقع والمدرك أمر غير ممكن ، ومحاولات إحداث التطابق تعبر عن براديغمات Paradigmes ذات نسق خاص ، فكما للثورية دُعاتها الذين يستدلّون على أنّ النقلات تكون من خلال عملية انفصالية ،كذلك لمفهوم التراكمية دُعاته وهم الاستقرائيون من أمثال (جورج سارتون وكارل بارسون وإرنست ماخ .... و الذين يرون أن العلم يبنى وفق تراكمات قبلية ومن خلال عملية اتّصالية ، فالمعرفة تمهد الواحدة للأخرى وهكذا يكون التقدّم العلمي ، وفيما يظهر الصراع قائما بين الثورية والتراكمية حول طبيعة التقدّم العلمي تبرز تصوّرات توفيقية للتصوّرين الثوري والتراكمي ، حيث ترى هذه التصوّرات أنّ : " التقدّم الكمّي التدريجي أي (التراكمي) يؤدّي إلى قفزات كيفية أي (ثورية) تصبح بدورها نقطة البدء لتراكم كمّي جديد ، يؤدي عند نقطة معيّنة إلى قفزة كيفية....و هكذا " [viii] ،كذلك يظهر اتّجاه تكاملي آخر عند " توماس كون Thomas Kuhn " : " فهو يميّز بين مراحل العلم العادي الذي يسير في إطار البراديغم ، وبين المراحل الثورية في هذا التقدّم التي هي انتقال من براديغم لآخر " [ix] ، ويعني بهذا أنّ المعرفة داخل إطار البراديغم تكون عملية تراكمية ، وخارج إطار البراديغم أي عند الانتقال من براديغم لآخر تكون هناك ثورة وقطيعة بين البراديغمات ، هذا ونعطي مثالا عن حالة التكامل بين التصوّرين (التراكمي والثوري) ففي مثال سبق رأينا أن " جورج طومسون " تجاوز نظرية والده " جوزيف طومسون " حول أنّ

الإلكترون يسلك سلوك الموجة ؛ جيث كان اكتشافه هذا قطيعة كلية مع ما اكتشفه والده في أنّ الإلكترون يسلك سلوك المادة وهذا يمثل ثورية في العلم ، غير أنّ ما جاءت به فيزياء الكمّ *Quantum* الحديثة من اكتشاف مفاده أنّ "الإلكترون يسلك سلوك المادة و الموجة معا " وهذا الاكتشاف يمثّل النظرية التراكمية في العلم من خلال الاستناد إلى كلّ من اكتشاف " جوزيف وجورج طومسون " ، وتجسيد التقدّم العلمي لن يكون إلاّ من خلال جدل تكاملي بين ما هو ثوري وبين ما هو تراكمي .

مراجع المحاضرة :

1 – خيرالدين دعيش (2013) ؛ غاستون باشلار ، مقال ضمن موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة – صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج ، منشورات ضفاف .

2 – ديفيد لندلي ، تر : نجيب الحصادي (2009) ؛ مبدأ الريبة ، دار العين للنشر .
3 – – زهير بغول ، محمد أمين دعيش (2014) ، براديغم نسقي في علم النفس الصحة : تمهيد بنيوي للنموذج البيونفسي اجتماعي ، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة قسنطينة ، العدد 41 .
4 – السيد شعبان حسن (1993) ؛ برونشفيك وباشلار (دراسة نقدية مقارنة ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان .
5 – عبد المنعم الحفني (1999) ؛ موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، دار مدبولي للنشر والتوزيع .
6 – غاستون باشلار ، تر : خليل أحمد خليل (1996) ؛ تكوين العقل العلمي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع .
7 – غاستون باشلار ، تر : بسام الهاشم (1984) ؛ العقلانية التطبيقية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان .
8 – غاستون باشلار ، تر : عادل العوا ، عبد الله الدائم (1983) ؛ الفكر العلمي الجديد ، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع ، لبنان . للدراسات
9 – كارل بوبر ، تر : ماهر عبد القادر محمد (1986) ؛ منطق الكشف العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
10 – كارل بوبر ، تر : عادل مصطفى (1985) ؛ النفس و دماغها ، رؤية للنشر والتوزيع .
11 – لخضر مذبوح (2009) ؛ فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر ، منشورات الاختلاف .
12 – ماهر اختيار (2010) ؛ إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب .
13 – منال محمد خليف (2011) ؛ مفهوم المجتمع العلمي عند توماس كون ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير فلسفة ، جامعة دمشق .
14 – يمنى طريف الخولي (2000) ؛ فلسفة العلم في القرن العشرين : الأصول–الحصاد– الآفاق المستقبلية ، سلسلة عالم المعرفة .
15 – يمنى طريف الخولي (1989) ؛ فلسفة كارل بوبر : منهج العلم ....منطق العلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16 – Susan Haack (1978) ; Philosophy of Logics , Cambridge University Press .